فكر الدعوة عند الدكتور نور الدين عتر
«كتاب الدعوة والداعية إلى الإسلام» أنموذجًا

د. يوسف خطَّار محمَّد
جامعة السلطان محمَّد الفاتح الوقفية - تركيا

ملخص

يناقش البحث فكر الدعوة والداعية عند الدكتور نور الدين عتر رحمه الله تعالى موضِّحًا اهتمامه العميق في هذا الباب، وذلك من خلال: كتبه، وتلاميذه، والمؤتمرات التي كان يحضرها، وحاله، وقاله، وكذلك من خلال إشرافه على رسائل الدكتوراه والماجستير، هذا بشكل عامٍّ، وأمَّا بشكل خاصٍّ فهو يسلط الضوء بوضوح على كتابه: الدعوة والداعية إلى الإسلام.

الكلمات المفتاحية: الدعوة، الداعية، تثقيف الداعية، القدوة الحسنة، الأخلاق.

Dr. Nureddin Itir'da Davet Düşüncesi -ed-Da'veh ve'd-Dâ'iyeh ile'l-İslâm Örneği-

Dr. Youssef Khattar Muhammad

Özet

Araştırma, Dr. Nureddin Itir'ın davet ve davetçi hakkındaki düşüncelerini, onun bu konudaki derin ilgisini, genel olarak kitapları, öğrencileri, katıldığı konferanslar, davranışları ve sözlerinin yanı sıra doktora ve yüksek lisans tez danışmanlıkları aracılığıyla tartışmakta, özel olarak da ed-Da'veh ve'dâ'iyeh ile'l-İslâm adlı kitabıyla konuyla ilgili fikirlerine ışık tutmaktadır.

Anahtar Kelimeler: Davet, davetçi, davetçiyi yetiştirmek, güzel örnek, ahlak.

The research discusses the notion of invitation (da'wah) according to Dr. Noor Al-Din Ater – may God be pleased on him – via his book: (The invitation and the preacher to Islam)

Dr. Youssef Mohamad

Abstract

The research discusses the notion of the invitation and the preacher according to Dr. Noor Al-Din Ater - may God have peace on him - explaining his great interest in this part through his books, his students, the conferences he attended, his situation, and what he said, as well as his supervision of doctorate and master's theses in general.

Specifically, it sheds light on his book: "The invitation and the preacher to Islam."

Keywords: The call, the preacher, the education of the preacher, the good example, the importance of morals.

تمهيد

إنَّ الدكتور نور الدين عتر رحمه الله تعالى كان جامعة، وذلك لغزارة علمه، فقد جمع بين القرآن والحديث والفقه والتصوُّف، وكان يقول: (وِرد طالب العلم علمه)؛ ولهذا تفرَّغ لوِرده طول عمره، ولم ينازعه فيه شيء، ولقد كان والده يراسله وهو في مصر ويذكِّره بأنَّ الله تكفَّل لطالب العلم بالعيش الهنيء، وقد جعلها شيخنا قاعدة، وقال: إنَّ والدي أخذها من جدِّنا الشيخ نجيب رحمه الله تعالى ثمَّ وجدت هذا من مقولة للإمام الشافعي.

قال: إنَّ الدعوة إلى الإسلام هي أمرٌ عظيم في غاية الأهمِّيَّة للإنسانية، وهي تربية أخلاقية ووجدانية، وغرسٌ لعقائد الإسلام الحنيف، وتسليكٌ في الحياة وفق شريعة الله تعالى.

أي: إنَّها عامَّة شاملة.[1]

وممَّا دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع:

١- **أهمِّيَّة موضوع الدعوة**، خصوصًا ما تعرَّض إليه الأستاذ من لفتات وأسرار تغيب عن كثير من العاملين في هذا المجال.

٢- **إظهار بعض أسرار الشخصيَّة النادرة للأستاذ**، حيث جمع بين الحال والقال، والعلم والدعوة، وعُرف عنه اعترافه بالفضل لأشياخه ومعلِّميه إلى آخر حياته.

وقد قسَّمت البحث بحسب المخطط الآتي:

- المبحث الأوَّل: ترجمة موجزة عن حياة الدكتور نور الدين عتر رحمه الله تعالى

- أوَّلًا: السيرة الذاتية.
- ثانيًا: حياة الشيخ الدعوية.

١ الدعوة والداعية إلى الإسلام، لنور الدين عتر، ٧.

• ثالثًا: علاقة الدكتور نور الدين عتر بشيوخه وطلَّابه.

- **المبحث الثاني: الدعوة والداعية إلى الإسلام**

• أوَّلًا: تعريف الدعوة والفرق بينها وبين الوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

• ثانيًا: تعريف الداعية وشروطه.

- أوَّلًا: تعريف الداعية.

- ثانيًا: شروط الداعية وزاده.

• ثالثًا: نقائض وسلبيَّات في الدعوة المعاصرة.

• رابعًا: خطورة القعود عن الدعوة أو التقصير فيها.

- **المبحث الثالث: أهمِّيَّة الأخلاق في الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ**

• أوَّلًا: الأخلاق الخاصَّة بالداعية.

• ثانيًا: ثقافة الداعية.

• ثالثًا: القدوة الحسنة.

- **المبحث الرابع: محاربة الدعوات الهدَّامة**

• أوَّلًا: الصهيونيَّة العالمية ومنظَّماتها.

• ثانيًا: الصليبية ومعاول هدمها.

• ثالثًا: سبب الإلحاد في عصر العلم الكوني، وعلاجه.

المبحث الأوَّل

ترجمة مختصرة من سيرة الدكتور نور الدين عتر رحمه الله تعالى

أوَّلًا: مقتطفات من سيرة الدكتور نور الدين عتر رحمه الله تعالى

الدكتور نور الدين عتر الحسني من مواليد سوريا بمدينة حلب عام ١٣٣٦هـ الموافق لـ ١٩٣٧م.

كان والده الحاجُّ محمَّد عتر من خواصِّ تلاميذ العلَّامة الجليل الإمام الشيخ العارف بالله محمَّد نجيب سراج الدين رحمه الله تعالى.

ويعدُّ الشيخ نور الدين الإمام العلَّامة الفرد والحجَّة في علوم الحديث النبوي الشريف، رواية ودراية، في مجالات التدريس والتحقيق والتأليف، وسليل أسرة علمية عريقة في التقى والصلاح، راسخة في علوم الشريعة والحقيقة.

تجاوزت مؤلَّفاته الخمسين ما بين تحقيق وتأليف، أبرزها كتاب: (منهج النقد في علوم الحديث) الذي اعتبر مرحلة تاريخية جديدة في علم المصطلح بعد مرحلة شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني رضي الله عنه، وأشرف على عشرات الأطروحات الجامعية من دكتوراه وماجستير، وعُرِف بدقَّته الشديدة في تحكيمه.

ثانيًا: حياة الدكتور نور الدين عتر -رحمه الله تعالى- الدعوية

إنَّ الدكتور نور الدين عتر مع كونه من أكبر علماء الحديث الشريف في وقتنا هذا -إن لم يكن أكبرهم على الإطلاق- يتميَّز بالناحية الدعوية الروحية الواضحة، فتزكية النفس غايته، وإدراك رضا الله ورسوله هدفه.

زاهدٌ في المناصب والدنيا، متواضع، سمح، رحيم، داعية، نقيُّ الصدر نقاء الثلج، خاشع، رقيق القلب، بكَّاء، ورغم ضخامة إنجازاته يختار الخفاء دائمًا، والبعد عن الأضواء ما أمكنه؛ بل لا نبالغ إن قلنا إنَّ منهجه هضم النفس والتواضع، مع

عطيَّة ربَّانية من الوقار والهيبة يؤتيها الله عزَّ وجلَّ أهل الصدق والاستقامة.

قال رحمه الله: إنَّ الدعوة إلى الله تعالى مهمَّةٌ جليلة اصطفى الله تعالى لها خِيرة خلقه من الأنبياء والرسل، يبلِّغون رسالات الله، ويَدْعُون الخلق إلى الله، ووفَّق لها صفوة هذه الأمَّة من العلماء والدعاة صحابةً وتابعينَ ومن بعدهم.

وإنَّنا اليوم في عصر يُدْرَس فيه كلُّ علم ويقوم بأصول علمية، فكان لا بدَّ من تأصيل علمي لعمل الدعوة، يُرشد الدعاة إلى السبيل الأقوم، ولا يترك أمر دعوة الخلق إلى الخلق على سجيَّة النفوس واندفاع كثير منها بغير هدًى ولا حكمة، وإن أثار ذلك عواطف العامَّة ونال إعجابهم.

وقال أيضًا: إنَّ الحقَّ الذي يجب أن يعلمه القارئ هو أنَّ كلَّ مسلم مطالب بأن يكون داعية للإسلام.

وإنَّ عَمَلكَ بالإسلام من أعظم الدعوة إلى الإسلام؛ لأنَّ هذا الدين كلُّه محاسن وفضائل ومكارم، فالعمل به دعوة إليه.

وفَّقنا الله تعالى إلى الدعوة إليه بأحسن السبل، وأقوم الطرق، وهو سبحانه الهادي إلى سواء السبيل.[١]

ثالثًا: علاقة الدكتور نور الدين بشيوخه وطلَّابه

نشأ الدكتور نور الدين عتر في بيت علم وفضل، فأبوه كان تاجرًا صالحًا محبًّا للعلم والعلماء، وأمُّه شقيقة العارف بالله الشيخ عبد الله سراج الدين رحمه الله تعالى.

ومن هذه التربة الطيِّبة بزغ نجم شيخنا الساطع في سماء العلماء والأولياء والصدِّيقين.

وقد تلقَّى العلم عن العلَّامة الشيخ مصطفى مجاهد الذي كان بحرًا في العلم والمعرفة، ومتمكِّنًا في الفقه المقارن.

١ الدعوة والداعية إلى الإسلام، ٥.

وعن العلامة الشيخ محمَّد عبد الوهَّاب البحيري، وكان من العارفين بالله عزَّ وجلَّ.

وعن العلامة النحوي الشيخ محمَّد محيي الدين عبد الحميد الذي كان مشرفًا على أطروحة أستاذنا لنيل العالمية: "الموازنة بين جامع الترمذي وبين الصحيحين".

وعن العلَّامة الشيخ محمَّد محمَّد السماحي صاحب كتاب: (المنهج الحديث في علوم الحديث).

وعن العارف بالله الشيخ عبد الله سراج الدين، القدوة الأولى له في علماء عصره، ولا يخلو درس أو مجلس من ذكره، وكان يستشيره في أموره كثيرًا.

وكان له صلةٌ بالعلَّامة المقرئ الفقيه عبد العزيز عيون السود رحمه الله تعالى، والعارف بالله الشيخ عبد الرحمن الشاغوري.

وكان يجلُّ شيخنا العلَّامة المقرئ الشيخ عبد الرزاق الحلبي.

وكانت علاقته مع طلَّابه متينة، فكان يتابع الطلَّاب ويشجِّعهم خاصَّة في الدراسة وكتابة البحوث، ويحثُّهم على طلب العلم.

ومن أهمِّ مؤلَّفاته

- منهج النقد في علوم الحديث، وهو كتاب متميِّز؛ لأنَّه درس علوم المصطلح دراسة موضوعية، وربط بين موضوعات علم المصطلح بطريقة بديعة قلَّما نجدها في غيره من المؤلَّفات.

- إعلام الأنام في شرح بلوغ المرام في أربعة مجلَّدات ضخام، ومن مميِّزاته التحقيق في نسبة الأقوال لأصحابها من أصحاب المذاهب الفقهية.

- وكَتَبَ في علوم القرآن الكريم والتفسير، وآيات الأحكام، وأحكام الحجِّ والعمرة، والفكر المسلم، والربا، والدراسات الأدبية في القرآن الكريم والحديث الشريف، وهي معروفة طارت بها الركبان في كلِّ مكان.

رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جنَّانه، وجمعنا به في الفردوس الأعلى مع النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.[١]

المبحث الثاني: الدعوة إلى الإسلام

أوَّلًا: تعريف الدعوة والداعية

الدعوة لغة: من دعا بالشيء يدعو به دعوًا ودعوة ودعاء: طلب إحضاره، ودعا فلانًا يدعوه: صاح به وناداه.

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف: ١٩٥]، وقوله: ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ﴾ [الكهف: ٥٢].

ودعا إلى الشيء: حثَّه على قصده، يقال: دعاه إلى القتال، وإلى الصلاة، ودعاه إلى الدين وإلى المذهب: حثَّه على اعتقاده، وساقه إليه.[٢]

الفرق بين الدعوة والوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إنَّ الدكتور نور الدين عتر رحمه الله تعالى فرَّق بينها بشكل واضح، فقال:

- **الدعوة**: هي حثُّ الناس على الإيمان بالله تعالى، وبما جاء به رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، والتمسُّك بالدين الإسلامي، وإنشاء مجتمع يعمل بالإسلام، ويعتصم به.

- **الوعظ**: هو التذكير بالعواقب؛ أي: إنَّ العمدة في الوعظ إثارة العواطف والترغيب والتهيُّب، فهو جزء من الدعوة.

- **وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** فهو خاصٌّ بفعل الطاعة وترك المعصية، فهو أيضًا جزء من الدعوة.[٣]

١ وقفات وصور وفوائد وعبر، لأحمد فاضل بتصرُّف يسير.

٢ انظر: (د ع و) في القاموس، ولسان العرب، والمعجم الوسيط، والصحاح.

٣ الدعوة والداعية إلى الإسلام، ٧.

- لقد كرَّر القرآن الكريم الخطاب إلى الرسول الكريم صلَّى الله عليه وسلَّم يأمره بالدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ، والاستمرار عليها، وعدم التحوُّل عنها.

فمن هذه الآيات الكريمة قوله تعالى: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسۡتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٦٧].

وقد ظلَّ صلَّى الله عليه وسلَّم يدعو إلى ربِّه تبارك وتعالى حتَّى أتاه اليقين من ربِّه، وصار إلى جواره الكريم راضيًا مرضيًّا، فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء.[1]

ومن ثمَّ حثَّنا الحبيب محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّم على الدعوة في أحاديث كثيرة منها:

- قال عليه الصلاة والسلام: «بلِّغوا عنِّي ولو آية».[2]

- وقال عليه الصلاة والسلام: «إنَّ الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه أوشك أن يعمَّهم الله بعقابه».[3]

- وقال عليه الصلاة والسلام: «من رأى منكم منكرًا فليُغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».[4]

والأحاديث في ذلك كثيرة، ليس هذا مقام جمعها.

ثانيًا: تعريف الداعية وشروطه

- أوَّلًا: تعريف الداعية

قال الدكتور نور الدين عتر:

إنَّ الداعية يؤدِّي وظيفة سبقه إليها النبيُّون، وإنَّه لأحقُّ النَّاس باقتباس شمائلهم، والاقتداءِ بهداهم، وأخذ الأسوة من أخلاقهم، وأنجح الناس في تبليغ الدعوة من

١ أصول الدعوة، ٣٠٧.

٢ أخرجه البخاري في صحيحه، ٦/ ٤٩٦.

٣ رواه ابن ماجه في سننه، ١٣٢٧.

٤ أخرجه مسلم في صحيحه، ٤٩، وأبو داود، ١١٤٠، والترمذي، ٢١٧٢، وابن ماجه، ٤٠١٣.

تظهر وراثة النبوة عليه في خُلقه وسلوكه، وفي عبادته وجهاده، وفي مقاومتها للدُّنيا، ومعاملته لذوي السلطان غير راغب ولا راهب.

فالدَّاعية إذن: نموذج جيِّد لكلِّ ما حوى الإسلام من تعاليم، وما سنَّه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم من أخلاق وسنن، ثمَّ هو منارة تهدي النَّاس سواء السبيل، وتحثُّهم على اتِّباع رضوان الله واجتناب سخطه.

وفي إطار التوصيف الدقيق لمعنى الداعية قال رحمه الله تعالى:

فالدَّاعية لديه من اليقين بربِّه، والحماس لدينه، والفضل في خلقه؛ مقادير كبيرة تتجاوز شخصيَّته لتنتقل إلى الآخرين، وإذا لم يكن عنده المزيد من العلم والتكمُّل به والحرص على تبليغه فأنَّى تكون الاستفادة منه ميسَّرة للآخرين، فالأرض التي يخرج منها الماء لا تستطيع أن تسقي غيرها إذا لم تكن لها قوَّةُ نبعٍ دافعة تدفق الماء ليتجاوز حدودها إلى الأراضي المجاورة، كذلك الداعية لا بدَّ أن تكون لديه ثروة إيمانية وأخلاقية كبيرة؛ لتكون فيها قوَّة الينبوع الذي يروي ظمأ البقاع العطشى.

ومن هنا نقول: إنَّ أوجب واجب على الداعية هو أن يجاهد نفسه ويصلحها، ثمَّ يسعى بعد ذلك لهداية الناس، فيسير في إصلاحه للناس في ضوء إصلاحه لنفسه، فإذا أرادَ تربية العامَّة على خُلق السَّخاء، وفطامهم عن رذيلة الشحِّ مثلًا، فإنَّه يعالج أوَّلًا بخل نفسه، ويلاحظ تدرُّجها في هذا العلاج، وما يحتاجه في كلِّ مرحلة من الوسائل، ثمَّ إنَّه سيعرف بعد ذلك كيف يعالج الناس، وستبلغ كلماته حبَّات القلوب فتغسلها من أدرانها غسلًا.

والحقيقة أنَّ مجاهدة الداعية نفسه، والرقي بروحانيتها إلى الدرجة العليا، أمر لازم له لزوم الروح للحياة؛ لأنَّ ذلك سرُّ وجود قوَّة إيقاظ القلوب، وإحياء مواتها، فإذا خلا الداعية من ذلك ظلَّ باطنه فارغًا خَرِبًا لا يوقظ القلوب ولا يحييها، وإنَّما ينال إعجاب الناس بفصاحة لسانه وبيانه، وهو حينئذٍ يدعو إلى نفسه؛ بل ليس ممَّن يدعو إلى الله.

وليس ثَمَّةَ أعجبُ من أناس يسمُّون أنفسهم دعاة، تجد أحدهم ينصح الجمهور

بأمور هو مبتعد عنها، ويحذِّرهم من مساوئ هو ممَّن يتعاطاها، أو يقترب نحوها، لكأنَّما يظنُّ أحدهم أنَّ ما يقوله للناس هو أمر يخصُّ أولئك الذين يستمعون إليه وحدهم ليس يعنيه هو، ولا يتوجَّه إليه.

الحقيقة أنَّ هذا الصنف من محترفي الدعوة المتاجرين بالعلم ومظاهره هم آفة تصيب إيمان الناس، وتبعدهم عن اليقين، ولربَّما وَجد فيهم المتحلِّلون ذريعة لركوب متن الفساد، أو تأثَّر بهم طائفة كانوا على سلامة وحسن طوية حيث رأوا ما يفعله أولئك الأدعياء من مخالفات، فزيَّن لهم الشيطان أنْ لستم بخير من أولئك القوم الأفاضل، فكانوا بمسلكهم المنحرف عن طريق الإسلام حجَّة لإبليس، يوسوس بها لمن يريد التَّقى يقول: لن تكون خيرًا من فلان، ولن تستطيعَ أن تفعل أحسنَ من فلان.

إنَّ أمثال هؤلاء المكلَّفين بأمرِ الدَّعوة من غير تحقُّق بها قد صاروا عبئًا ثقيلًا على الدعوة، وعلى حملتها الصادقين؛ ذلك لأنَّهم تكذيبٌ عملي للكلام الجميل الذي يلقونه على الأسماع، وأنَّهم العذر الذي يَمْثُلُ بين يدي كلِّ مقصِّر، يبعث اليأس من الصلاح في نفوس مريدي الصلاح والمتشوِّقين إليه.

لذلك عاب الله تعالى على أحبار اليهود أنَّهم كانوا دوابَّ ناقلةً لكتب العلم، لا بشرًا كرامًا ينتفعون به: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥]، وقال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

وبذلك ضربَ القرآن لنا أقوى المثل للزجر عن الوقوع في هذه الحفرة الشنيعة من حفر النار، وقد فصَّل الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم ما يلقى من العذاب كلُّ غافل لا يعتبر بهذه الموعظة، فأخرج البخاري ومسلم[1] عن أسامة بن زيد رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: (يؤتى بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار تندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار،

١ البخاري في بدء الخلق (صفة النار) رقم: ٣٢٦٧، ومسلم في الزهد (عقوبة من يأمر...) رقم: ٢٩٨٩.

فيقولون: يا فلان مالك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فيقول: بلى، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه).

-ثانيًا: شروط الداعية وزاده

ثمَّ تطرَّق الشيخ إلى ذكر شروط الداعية، وأهمِّ الخصال التي تلزم له، فرتَّبها بشكل بديع لما يعرف عنه بأنَّه لا يرضى من الصفات إلَّا بأعلاها، ولا من الأخلاق إلَّا بأسماها، **فجعل شروط الداعية:**

- **أوَّلًا: كمال العلم بالله تعالى**: وذلك لأنَّ أوَّل أهداف الدعوة هداية الخلق إلى الله تعالى وتعريفهم بربِّهم سبحانه، فلا بدَّ أنْ يكون لدى الداعية من ذلك ينابيع غزيرة؛ ليملأ قلوب الناس بمعرفة الله تعالى، ونريد بالمعرفة إدراك القلب لصفات الربوبية والألوهية، بحيث يشهد آثار الصفات، وآثار الكمالات الإلهية، في هذه الكائنات؛ لأنَّها كلَّها تدلُّ على ذلك وترشد إليه، وتنطق به بلسان الحال لما تضمَّنته من خوارق الصنع البديع، وإنْ لم نسمع لها تسبيحًا بلسان المقال ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

ولتحصيل ذلك أرشد إلى أمرين:

١- التفكُّر في المخلوقات السماوية والأرضية، وتأمُّل مظاهر الأسماء والصفات فيها إيجادًا وتنظيمًا، وتحقيق النفس بما يناسب معرفة تلك الأسماء والصفات.

فإذا أردت أيُّها الداعية التفكُّر في رحمة الله تعالى فإنَّك تجمع النصوص الواردة فيها من الكتاب والسنَّة، وتتعمَّق في فهم دلالاتها ومراميها، ثمَّ تنظر آثار رحمته في خلقه.

فإذا علمت بعد ذلك أنَّ هذه الرحمة المنبثقة في أرجاء الكون العظيم هي جزء أنزله الله تعالى للدنيا من مئة رحمة، فأطلق لقلبك العنان في التَّفكُّر في هذه الرحمة التي اتَّصف بها الربُّ سبحانه.

وهكذا تفعل في سائر الصفات والأسماء الحسنى، ثمَّ تحقِّقُ بما يوجب عليك

كلُّ اسم ووصف من العلم الاعتقادي، والتَّكمُّل الخُلُقي، والعمل الصالح، فتتحقَّق لك البشارة بالجنَّة، كما في الصحيحين[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم: (إنَّ لله تسعة وتسعين اسمًا مئة إلَّا واحدًا من أحصاها دخل الجنَّة).

قال ابن بطال: ((طريق العمل بها أن ما كان يسوغ الاقتداء به فيها كالرحيم والكريم، فيمرِّن العبد نفسه على أن يصبح له الاتِّصاف بها، وما كان يختصُّ به نفسه كالجبَّار والعظيم فعلى العبد الإقرار بها والخضوع لها وعدم التحلِّي بصفة منها، وما كان فيه معنى الوعد يقف فيه عند الطمع والرغبة، وما كان فيه معنى الوعيد يقف منه عند الخشية والرهبة))، ويؤيِّد هذا أنَّ حفظها لفظًا من دون عمل واتِّصاف، كحفظ القرآن من دون عمل، لا ينفع كما جاء في الحديث الصحيح: (يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم).[2]

٢- **الإكثار من ذكر الله تعالى مع حضور القلب والفكر**، وذكر الله تعالى هو ملاك الأمر أوَّلًا وأخيرًا، وهو للقلب كالهواء للأبدان، أو كما قال بعض الأئمَّة: ((ذكر الله للإنسان كالماء للسمك فانظر كيف يعيش السمك بعيدًا عن الماء)).

فذِكر الله لازمٌ لنا في كلِّ وقت وعلى كلِّ حال، حتَّى يستمرَّ مددُ الحياة واردًا على قلوبنا؛ لذلك كان عليه الصلاة والسلام، كما في الحديث الصحيح[3] عن عائشة رضي الله عنها: (كان يذكر الله على كلِّ أحيانه)، وإنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم هو قدوة الذاكرين، فعليك أنْ تقتدي به وتنهج نهجه.

ثانيًا: قوَّة الصلة بالله تبارك وتعالى

إنَّ أوَّل شيء ما زال الأنبياء والخلفاء الراشدون وصلحاء الأمَّة يوصون به أتباعهم وأصحابهم دائمًا هو أنْ يتَّقوا الله، ويعمروا قلوبهم بحبِّه، ويتقرَّبوا إليه بطاعته وعبادته، والحقيقة أنَّ قوَّة الصلة بالله تعالى دعامة عظيمة جدًّا في أخلاق الدعاة

١ البخاري في التوحيد، (باب إنَّ لله تسعة وتسعين...) ٩/ ١١٨، ومسلم في الذكر والدعاء، (أسماء الله) ٨/ ٦٣.

٢ البخاري في المغازي، رقم: ٤٣٥١، ومسلم في الزكاة، (ذكر الخوارج) رقم: ١٠٦٤.

٣ مسلم في التيمُّم، ١/ ١٩٤، وعلَّقه البخاري في الحيض، (تقضي الحائض المناسك...) ١/ ٦٤.

وصفاتهم؛ لأنَّ الداعية يوصل العباد إلى الله، فلا بدَّ أن تكون صلته هو بالله تعالى قويَّة جدًّا متينة جدًّا؛ حتَّى ينجح في مهمَّته، فيُخرِج الناس من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى صراط العزيز الحميد.

ومعنى صلة الإنسان أو علاقته بالله قد دلَّ عليها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

وأساسُ قوَّة هذه العلاقة بالله يقظة القلب لها، وتكريس الإنسان وقته لأجلها، لا يغفل عن ذلك.

فأكثر العامَّة يقومون بعباداتهم يحرِّكهم فيها تعوُّدهم على تلك الأعمال، فيؤدُّون الصَّلاة مثلًا حركات جامدة لا خشوع فيها ولا حضور، وربَّما لمعت في قلوبهم يقظات ذكر وإنابة لكنَّها لا تستمرُّ؛ بل يرجعون مسيرتهم الأولى من الغفلة والذهول عن عروة صلتهم بالله؛ أعني مراقبة تحقيق الآية ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾.

أمَّا الدُّعاة فلا بدَّ أن يكونوا في غاية عظيمة من عمق الشعور بالله وتوثيق الارتباط به، والمراقبة له والحضور معه سبحانه؛ لأنَّهم بذلك يصبحون دعاة، ويستطيعون أن يسلكوا سبل الهداية بالناس بسلام.

وقد أرشد رحمه الله تعالى الداعية إلى ما يتزوَّد به في مسيرته ليكون داعية إلى الله حقًّا، منتصرًا بالله، متوكِّلًا على الله، يتشرَّف بمعيَّة التكريم الإلهي، كما قال تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] وذلك من خلال:

١- **كثرة تلاوة القرآن تلاوة تدبُّر وتفكُّر**، فالقرآن كلام الله أنزله شفاء ورحمة، فهو جلاء للبصائر الكليلة، وشفاء للصدور والقلوب العليلة، فإذا أكثر المؤمن من تلاوته انفتحت أغلاق قلبه، وأشرقت بأنوار القرآن نفسه، فأضاءت على من حوله، وهدتهم إلى الصراط المستقيم.

وعلى ذلك كان عمل السلف الصالح رضي الله عنهم، وكان الكثير منهم يردِّد الآية الواحدة مرَّات كثيرة ليتدبَّر فيها، وكلَّما أعادها انكشفت له من معانيها، وتجلَّى

له من أنوارها، أفهام يتعلَّقون بها رجاءً، أو يخشون منها خوفًا، أو يستشفعون ويسترحمون.

٢- **دراسة السيرة النبويَّة والتعمُّق في فقهها ثمَّ كثرة الرجوع إليها**، والغرض من ذلك أنْ يصوِّر الداعية لنفسه حياته صلَّى الله عليه وسلَّم، ويصاحبه في سيرته الشريفة بوجدانه ومشاعره، فيجلس الداعية في مجلسه صلَّى الله عليه وسلَّم ويسير في ركابه، ويسمع قوارع وعظه ويُنصت لرقَّة مناجاته إذا قام يناجي ربَّه في الليل، فإذا صاحب الداعية رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم هذه المصاحبة، فإنَّه يدخل في المحيط النبوي الكريم، ويلين قلبه بروحانيته صلَّى الله عليه وسلَّم، ويصفو طبعه، وتتهذَّب نفسه، ويستبين النهج الصالح في الدعوة إلى الله.

وممَّا يساعد على تعميق هذه المعاني في النفس وتحقُّقها بها: مصاحبة الأخيار والصالحين إذا وجدت إلى صحبتهم سبيلًا، ومن علامتهم الاشتغال بعيوب أنفسهم عن عيوب الناس، والتزام أمر الشرع واجتناب نهيه في صدق وطاعة وقوَّة وإيمان، هؤلاء صحبتهم تليِّن القلوب وتطهِّر من الذنوب.

٣- **الصلاة**، والمراد هنا صلاة النافلة، فالنوافل على وجه العموم والصلاة على وجه الخصوص وسيلة العباد للتقرُّب إلى الله ونوال محبَّته سبحانه، كما أخرج البخاري في الحديث القدسي المشهور: (ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتَّى أحبَّه...) الحديث،[1] وهذه النوافل بالنسبة للدعاة مطلوبة مؤكَّدة، وإن كانت في حقِّ غيرهم غير مؤكَّدة؛ لأنَّ هذا الزاد من تقوى الله والتقرُّب إليه بالنوافل هو عدَّة الداعية على أمر دعوته الثقيل، فهل يسير المرء بغير زاد أو عدَّة!

وخير ما تكون النافلة في جوف الليل، فإنَّ الليل مركب الصالحين إلى الله، ونواشئ الأسحار أجنحة أهل الأشواق للربِّ تباركت أسماؤه ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلٗا﴾ [الإنسان:٢٦]، ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٩].

٤- **الصيام**، وهو رياضة عظيمة للروح والقلب، تسعف النفس لتحقيق الغرض

١ البخاري من حديث طويل في الرقاق، (التواضع) ٦٥٠٢.

الأساسي الذي بيَّنه القرآن بقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، فليجتهد الداعية في إلزام نفسه مقتضى التقوى ليتحقَّق بها ويتكمَّل من مراتبها العالية.

٥- **الإنفاق في سبيل الله،** وإنفاق المال في سبيل الله تعالى وسيلةٌ مهمَّةٌ ومؤثِّرةٌ جدًّا في تزكية النفس، وتطهير القلب من رأس الخطايا حبِّ الدنيا، لا سيَّما صدقات التطوُّع، وقد صرَّح القرآن بذلك، فقال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وجوابًا على داعية يسأل نفسه: كيف أعرف مدى صلتي بالله تعالى، وهل هي ضعيفة أو قويَّة؟

قال الشيخ نور الدين عتر: إنَّ معرفة ذلك أمر سهل إذا رجع المرء إلى نفسه، وسألها بصدق وصراحة عن حقيقة مقاصدها وأهدافها، وعن الأمانات التي أودعه الله إيَّاها هل تصرَّف فيها تصرُّف الأمين، أو تصرُّف الخائن أو المقصِّر المهمل، واسأل نفسك عن الأوقات، واسألها عن الأموال، واسألها عن مواهبك الفكرية أي جزء جعلته منها لله ولرسوله، وأي جزء أنفقته لمطالبك الأنانية، فكلَّما كان الجزء الذي يُنفق في سبيل الله أكثر كانت الصلة بالله تعالى أوثق.

ثمَّ سل نفسك كم يبلغ بك الحزن والألم إذا حلَّ بك مكروه في مصالحك الشخصية، ثمَّ كم يكون هذا الألم والحزن عندما ترى الناس يخرجون على الله وشريعته علنًا، وينتهكون حرماته انتهاكًا سافرًا!

هذه الأسئلة ونحوها إذا توجَّهت بها إلى نفسك في أيِّ وقت من الأوقات، وطلبت الإجابة صريحة دون مواربة، ودون أن تلتمس لكلِّ تقصير عذرًا، فستجد الجواب صريحًا قويًّا، فالواقع أنَّ النفس تخبرك عن حقيقة أمرك، الجواب قال تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ [القيامة: ١٤-١٥].[١]

١ يراجع كتاب التقرُّب إلى الله.

ثالثًا: جهاد النفس؛ لأنَّ هذا الخُلق لا ينفكُّ عن مسلم، وهو بالداعية ألصق، وجهاد النفس وقوَّة الصلة بالله يسيران جنبًا إلى جنب، ويشدُّ أحدهما أزر الآخر، فمجاهدة النفس تقوِّي الصلة بالله تعالى، وقوَّة الصلة بالله تعالى تفيد الإنسان فائدة عظيمة؛ إذ تكشف له الغطاء عن نفسه، وتبرز له نواحيها، فلا يؤتى من ناحية يجهلها أو لا تخفى عليه حاجاته للكمالات، فيجاهد نفسه لبلوغها.

والداعية المشتغل بهداية الناس إنَّما يسير في ضوء من إصلاحه لنفسه، ومن النتائج المستفادة يعرف أفضل البذور وأنسب الأوقات وأنفع الأساليب.

والحقيقة أنَّ أنفع وسائل الدعوة أن يجاهد الداعية نفسه حتَّى يكون مظهرًا للدعوة، ومثالًا حيًّا عقيدة وشريعة وأخلاقًا، فحيثما وقع النظر عليه عرفوه من علوِّ سيرته وأخلاقه وتزكية نفسه، فيكون لهم من نفسه ورؤيته واعظًا ومذكِّرًا.

وقد ورد في الحديث: (قدمتم خير مقدم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا: وما الجهاد الأكبر، قال: مجاهدة العبد لهواه).[1]

وقد يقول قائل: إنَّنا نسمع الكثير من النصائح والمواعظ، ولكن لا نعمل بها، فكيف السبيل إلى العمل؟

وللجواب عن ذلك ينبغي أن يتنبَّه إلى أنَّ مردَّ ذلك إلى إرخاء العنان للأهواء، وأنَّه لا بدَّ من الحزم في الأمر، وأنَّ طريق تهذيب النفس وإقامتها على شرع الله يحتاج لصبر وأناة واستعانة بالله تعالى.

ووسائل ذلك كثيرة نشير إلى مهمَّات منها فيما يأتي:

١- محاسبة النفس نهاية كلِّ يوم على ما قدَّمت، وتوجيه اللوم الشديد لها على ما فرَّطت والتوبة منه، وممَّا يؤثر عن السلف: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا).[2]

---

١ البيهقي في الزهد الكبير، رقم: ٣٧٤.

٢ هذا قول سيِّدنا عمر رضي الله عنه، رواه أحمد في الزهد رقم: ٦٣١، وابن أبي الدنيا في شبهة النفس، رقم: ٢، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٥٢.

٢- التفكير في عظمة الله ومراقبته للإنسان حتَّى تتخلَّق النفس بالحياء والمهابة من الله.

٣- النظر في المآل وأهوال اليوم الآخر وعذاب القبر وعذاب النار، وتأمَّل ذلك كأنَّه مرئي حاضر، وإدامة النظر في الآيات والأحاديث التي تصوِّر أحوال الآخرة.

٤- مصاحبة أهل النصح والرشاد من العلماء العاملين للاسترشاد بهم فيما يشكل على الإنسان، ومصاحبة الأصدقاء الذين يأخذون أنفسهم وإخوانهم بالوصية بالحقِّ والصبر، والتحدُّث معهم في هذه الشؤون ليعين كلٌّ صاحبه على طاعة ربِّه، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يفترقون على تلاوة سورة العصر، وحسب من اتخذ لنفسه صاحبًا في الله أن يكون داخلًا في قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: (سبعةٌ يظلُّهم اللهُ بظلِّ عرشه يومَ لا ظلَّ إلَّا ظلُّه)،[١] وفيه: (ورجلان تحابَّا في الله اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه).

٥- أن تكون مجاهدة النفس متدرِّجة من أمر إلى أمر حتَّى لا تتشتَّت النفس، وتكثر عليها التكاليف، ثمَّ إنَّ كلَّ مسألة يريدها يجب أن يستجمع إرادته كلَّها ولا يتراجع مع نفسه دون تحقيق ما يريد.

قال صاحب مراقي الفلاح العلَّامة الشرنبلالي: لا تنفع الطهارة الظاهرة إلَّا مع الطهارة الباطنة.[٢]

فأقول: لابدَّ للداعية أن يخلو من آفَّات نفسه.

وقال الفقيه العلَّامة ابن عابدين في حاشيته: إنَّ علم الإخلاص والعجب والحسد والرياء فرض عين مثل غيرها من آفَّات النفوس، كالكبر والغش والحقد والغضب والطمع والخيلاء والمداهنة والاستكبار عن الحقِّ؛ لذلك لابدَّ من معرفة حدودها وأسبابها وعلاماتها، ومن لا يعرف الشرَّ يقع فيه.[٣]

---

١ البخاري في الصلاة (من جلس في المسجد ينتظر الصلاة...) رقم: ٦٦٠، ومسلم في الزهد (فضل إخفاء الصدقة) ١٠٣١.

٢ حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح، ٧٠-٧١.

٣ حاشية ابن عابدين المسمَّاة: ردُّ المحتار على الدرِّ المختار شرح تنوير الأبصار، ١/ ٣١.

إنَّ الدعوة إلى الله دعوة السعادة والصلاح؛ لأنَّ الشرائع الإلهيَّة جاءت لسعادة الإنسان، فحرَّمت عليه كلَّ ضارٍّ، وأباحت له كلَّ نافع، فالتحليل والتحريم من أجل سعادة الإنسان واستقامته، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

فبالدين الصحيح حياة العقل والقلب والنفس والروح، وقد قيل: استجيبوا للطاعة وما تضمَّنه القرآن، ففيه الحياة الأبديَّة والنعمة السرمديَّة.[١]

إنَّ الدعوة إلى الله عزَّ وجل دعوة لإنقاذ البشرية من أسباب الدمار والهلاك للذين يسبِّبهما طغيان الإنسان وإيثار مصالحه ودنياه على مصالح الآخرين.[٢]

قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

قال ابن كثير: وهذان ركنا العمل المتقبَّل؛ لا بدَّ أن يكون خالصًا لله، صوابًا على شريعة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم.[٣]

وقال حذيفة المرعشي: الإخلاص أن تستوي أفعال العبد في الظاهر والباطن.[٤]

ومن أهمِّ شروط الداعية أيضًا:

• **الحكمة**: وقد عُرِّفت الحكمة بأنَّها: غاية الصواب والسداد في القول والعمل.

وعُرِّفت بأنَّها: وضع الأشياء مواضعها المناسبة لها.[٥]

ولا شكَّ أنَّ هذا الأسلوب من الدعوة يتلاءم مع هذا الصنف من الناس.

---

١ الجامع لأحكام القرآن، ٧/ ٣٨٩.

٢ الدعوة والدعاة، ٥٨.

٣ تفسير ابن كثير، ٣/ ١٠٨.

٤ الرسالة القشيرية، ٢٠٩.

٥ البحر المحيط لأبي حيَّان، ١/ ٣٩٣، وانظر النهاية في غريب الحديث والأثر، (ح ك م).

وتقتضي الحكمة اتِّباع الأسلوب الملائم لحال الشخص ثقافة وسنًّا ومركزًا.

وتقتضي أيضًا بحث دوافع الإنسان التي تؤثِّر فيه، وتشخيص دائه، وإخفاء ذلك.

ويختصُّ أسلوب الحكمة بإمكان تعلُّمه واكتسابه من القرآن والسنَّة وصحبة العلماء الألبَّاء الحكماء، وبملاحظة نتائج العمل في حقل الدعوة والتجارب فيه.[١]

ثالثًا: نقائض وسلبيَّات الدعوة المعاصرة

لقد وضَّح الدكتور نور الدين عتر أهمَّ السلبيَّات التي تؤثِّر في الدعوة المعاصرة وعدَّد منها:

١- **انتشار وسائل الترف والمتعة**: إنَّ هذه الوسائل تزيل الحصانة الإيمانية، ولذلك لا بدَّ من تجاهلها والاهتمام بالوسائل المفيدة الإيجابية.

٢- **رحيل عدد عظيم من العلماء الكبار الدعاة النابهين إلى دار الآخرة**، دون أن نجد في طلابِهم من يملأ الفراغ الحادث بوفاتهم.

٣- **تتابع الأخطاء** من جماعات عاملة في الدعوة من مكان إلى مكان حتَّى أضعف تأثيرها؛ بل أفقد بعض هذه الجماعات الثقة بها.

٤- **كثرة الدخلاء على الدعوة**: لقد استغلَّت فئات من الطامعين قلَّة العلماء، وتعطُّش الناس للإسلام، فتصدَّروا ونصَّبوا أنفسهم دعاة وعلماء أيضًا.

واغترَّ الناس بهم لما يشغلونهم به من أدعية وأذكار، ثمَّ يعفونهم من كلِّ مطالبة، وأدَّى ذلك إلى ضرر عظيم بغفلة المسلم عن واجباته لإسلامه، وإخلاله بالسلوك الصحيح في أمور الحياة، واعتقاد أنَّه على صواب، حتَّى ربَّما لم يلتفت لنصح عالم وتعليمه مهما كان، وهذا خطر كبير يخشى أن يدخل صاحبه[٢] في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾[الكهف: ١٠٤].

---

١ راجع للتوسُّع في موضوع الحكمة: القسطاس المستقيم، للغزالي، ورؤى على الطريق، لعبد القادر طاش، وهكذا علَّمتني الحياة، لمصطفى السباعي.

٢ الدعوة والداعية إلى الإسلام، ٢٤-٢٧، بتصرُّف.

رابعًا: خطورة القعود عن الدعوة أو التقصير فيها

أكَّد الدكتور نور الدين عتر على خطورة التقصير في الدعوة، فقال: إنَّ التقصير في حقِّ الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ خطر جسيم، وإثمٌ عظيم؛ لما فيه من الإساءة البالغة في حقِّ الخالق والخلق، ولأنَّه يحجب نور الهداية عن الناس، ويتركهم في ظلمات العماية، يتخبَّطهم شياطين الإنس والجان، لذلك كثرت النصوص جدًّا في الوعيد الشديد والتهديد الأكيد لمن قصَّر في الدعوة، ولم يؤدِّ حقَّ الله فيها.

تأمَّل سورة العصر: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾، فلم يكتف للخلاص من الخسران العظيم بالإيمان والعمل الصالح حتَّى أضاف إليها أداء حقِّ الدعوة ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾.

ومن الوعيد الشديد الوارد في السنَّة:

• قال صلَّى الله عليه وسلَّم: "من كتمَ علمًا ألجمه اللهُ بلجامٍ من نارٍ".[1]

• عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: "إذا لَعنَ آخر هذه الأمَّة أوَّلها فمن كتم حديثًا فقد كتم ما أنزل الله".[2]

• وعن أبي هريرة أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، قال: "مثل الذي تعلَّم العلم ثمَّ لا يحدِّث به كمثل الذي يكنز الكنز ثمَّ لا ينفق منه".[3]

وغير ذلك كثير جدًّا.[4]

- قال الزمخشري منذِّرًا بمسلمي عصره حين تركوا الأمر بالمعروف والنهي

---

١ رواه ابن حبَّان في صحيحه رقم: ٩٦، والحاكم في المستدرك، ١/ ١٠٢، وقال: صحيح لا غبار عليه، ووافقه الذهبي.

٢ ابن ماجه في المقدِّمة، رقم: ٢٦٣، والطبراني في الأوسط، رقم: ٤٣٠، وله شاهد عن معاذ عند ابن عساكر رقم: ٦٦١٥، والديلمي رقم: ١٣٨، والأوسط رقم: ٦٨٩.

٣ المسند: ٢/ ٤٩٩، والدارمي رقم: ١٣٨، والأوسط رقم: ٦٨٩.

٤ الدعوة والداعية إلى الإسلام، ٤٤/ ٤٧، بتصرُّف يسير.

عن المنكر: فيا حسرة على المسلمين في إعراضهم عن باب التناهي عن المناكير، وقلَّة عبثهم به، كأنَّه ليس من ملَّة الإسلام في شيء ما يتلون من كلام الله، وما فيه من المبالغات في هذا الباب.[١]

- وقال الإمام الرازي: إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله، إنَّ هذه الصفات الثلاث كانت حاضرة في سائر الأمم.[٢]

- وقال الإمام النووي: إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقين، وإذا تركه الجميع أثِمَ كلُّ من تمكَّن منه بلا عذر ولا خوف، ثمَّ إنَّه قد يتعيَّن كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلَّا هو، أو لا يتمكَّن من إزالته إلَّا هو.[٣]

- اتَّفق أهل العلم على وجوب الدعوة الإسلامية، وكان ذلك الاتِّفاق إجماعًا انعقد في عصر الصحابة، ثمَّ عصر التابعين، والإجماع لا يُنقَض إذا تخاذل المسلمون عنه، وقعدوا عنه، فلم يقوموا بحقِّه.[٤]

- يجب على الداعية الاستمرار في دعوته إلى الله، ولا ينبغي أن يشعر باليأس أبدًا؛ لأنَّ الأمور بيد الله عزَّ وجلَّ وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلِّبها كيف يشاء، فلا يستطيع الداعية أنْ يقطع بعدم الإجابة، فيجب عليه الاستمرار في الدعوة والوعظ والإرشاد حتَّى يقضي الله أمرًا كان مفعولًا.[٥]

- ومن لوازم استمرار الداعية: غناه عن الناس، وأن يكون ذا كسب من تجارة أو زراعة أو عمل أو حرفة.

قال أيُّوب السختياني لحمَّاد بن زيد: الزم سوقك، فإنَّك لا تزال كريمًا على

١ تفسير الكشاف، ١/ ٦٣٧.
٢ مفاتيح الغيب، ٣/ ٢٧.
٣ شرح النووي على مسلم، ٢/ ٢٣.
٤ الدعوة إلى الإسلام، لمحمَّد أبو زهرة ٣٤.
٥ أصول الدعوة، لعبد الكريم زيدان، ٣٢٢-٣٢٣.

إخوانك ما لم تحتج إليهم.[1]

وأقول: لا تزال كريمًا على الناس ما لم تعاط ما في أيديهم، فإذا فعلت ذلك استخفُّوا بك وكرهوا حديثك وأبغضوك.

- وكذلك حضور الداعية في المناسبات والأفراح والأتراح والأعياد فإنَّه يفتح له ميادين للدعوة، ويقدِّم له فرصًا طبيعية للاتِّصال بالناس وكسب ودِّهم.

وكم من سؤال عن الولد المريض جعل الوالد يفتح قلبه ويلقي بسمعه ويمدُّ يده، وكم من همسة تهنئة بولد رُزقه أو فوز حقَّقه كانت سببًا في تحويل اتِّجاه وتغيير قرار.

ولا يعدم الداعية البصير من وسائل كثيرة تساعده على استمرار الدعوة وكسب القلوب وتكثير الأنصار.[2]

- ومن ضمانات استمرارْ أن يدعو الناس للإسلام ونظامه ووحدته بأسلوب الحكمة والموضوعية التي تعود بالفائدة على المسلمين، دون تهوُّر وتعصُّب يعود بالضرر على الإسلام والمسلمين.[3]

- إنَّ الداعية متى كان خبيرًا بأدواء النفوس وعلل القلوب، فإنَّه سيسلك الأسلوب المناسب في علاجها، ويختار طريقة العرض المناسبة لقبولها، وذلك أنَّ من الناس من يعجبه حسن اللفظ، ومنهم من يعجبه الإشارة، ومنهم من ينقاد ببيت شعر، ينظر في اللازم الواجب، فيعطيهم من المباح في اللفظ قدر الملح في الطعام.[4]

- إنَّ أعظم أهداف الداعية إلى الله عزَّ وجلَّ وأشرفها هو العبادة؛ وقد عبَّر عنه الصحابي الجليل ربعي بن عامر رضي الله عنه أمام قائد الفرس: «جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جَور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا

١ حلية الأولياء، ٣/ ١٢.

٢ قواعد الدعوة إلى الله، ٩٧، بتصرُّف يسير.

٣ كنوز الدعوة إلى الله وأسرارها، ١٥٦.

٤ صيد الخاطر، ١٠١.

إلى سعة الدنيا والآخرة».[١]

- **قال الإمام الغزالي**: إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهمُّ الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطَّلت النبوَّة، واضمحلَّت الديانة، وعمَّت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتَّسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلَّا يوم التناد.[٢]

وأقول: إن الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ هي مهمَّة الرسل والأنبياء الذين هم خيرة الله من عباده، وسفراؤه إلى خلقه، وهي أيضًا مهمَّة خلفاء الرسل وورثتهم من العلماء العاملين، والدعاة المخلصين الصادقين، وهي أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله تعالى وبعد التزام منهجه القويم؛ لأنَّ ثمراتها هداية الناس إلى الحقِّ، وتحبيبهم في الخير، وتنفيرهم من الباطل والشرِّ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصِّلت: ٣٣].

ولا بدَّ للدعاة إذا أرادوا القيام الحقَّ بدعوتهم وعدم التقصير فيها من معرفة تامَّة لدعوتهم: لمبادئها، وغاياتها، وأهدافها، ومراحل الطريق لتحقيقها، ووعي تامٍّ بأدوارها ليسلكوا إليها، ويدعوا الناس على بصيرة إلى هدي تعاليمها، وفي هذا الزمان أصبحت الحاجة ماسَّة إلى الأخذ بأيدي الناس إلى الطريق المستقيم، طريق العدل والخير والسلام، وإلى تعريف الناس ما يصلح لهم دنياهم ودينهم ويسعدهم سعادة الدارين.[٣]

١ البداية والنهاية، ٧/ ٣٩.

٢ إحياء علوم الدين، ٧/ ٤.

٣ كنوز الدعوة إلى الله وأسرارها، ١٤.

المبحث الثالث: أهمِّيَّة الأخلاق في الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ

أوَّلًا: الأخلاق الخاصَّة بالداعية

وممَّا يكشف لنا عن بعض أسرار الشخصية الدعوية عند الدكتور نور الدين عتر كلامه عن الأخلاق الخاصَّة بالداعية، وقد جاءت على الترتيب الآتي:

أوَّلًا: الشجاعة

فالشجاعة خلق أصيل في فطرة الداعية إلى الله، وخصلة لا تنفكُّ عنه ليستطيع معاناة أمور الدعوة مع الناس.

إنَّ أهل الشرِّ والانحراف يعارضون الدعوة بدوافع قويَّة من غرائزهم، وتشبُّثهم بأهوائهم الخبيثة، فكان لا بدَّ لمن يقف أمام هذه المعارضات أن يكون قويَّ اليقين ثابت القلب ليصدَّ عصف النزوات، وكان لا بدَّ أن يكون الإيمان والطهر في نفوس الدعاة أقوى وأعظم من الفساد ودوافعه في نفوس المفسدين، وإلَّا فلن يكسب الداعية في ميدان عمله.

هذه الشجاعة يمدُّها الاعتقاد والإيمان بأنَّ حقَّ الله يجب أن يكون عزيزًا، وأنَّ هداه يجب أن تعلو رايته، وذلك حقُّ الإسلام والواجب الديني على الأمَّة عامَّة، وأمَّا الدعاة فعليهم أن يضاعفوا يقظاتهم وتضحياتهم، وأن يكرِّسوا أوقاتهم ومواهبهم لحماية الحقِّ ونصرته.

إنَّنا نرى الجند المكلَّفين بحراسة الأمن قد يفقد بعضهم روحه أو يصاب إصابة، وهو يطارد لصًّا ونراهم دائبين على السهر بالليل ومواصلة الجهود، فما أحرى الدعاة، وهم الموظَّفون لحراسة الإسلام وهم جيش الدفاع عن الإيمان، بأن يكونوا أقوياء بالحقِّ على الباطل مهما تكبَّدوا من مشاقٍّ.

إنَّ الشجاعة في الحقِّ تتكوَّن لمن اجتمعت فيه خصلتان:

الأولى: أن يخلِّص الداعية نفسه من تأثير رغبتها في النفع الدنيوي، ومن رهبتها من الضرر أو نقص الرزق أو غضب الناس أو أيِّ أحد.

الثانية: إيثار ما عند الله واعتزاز النفس بالعمل له، وإنَّها موظَّفة عنده، وترجيح جنابه العظيم على جبروت الجبَّارين وعلى أعطية المغدقين، وذلك لأنَّ النفس موقنة بأنَّ ثوابها عند الله حاصل، وأنَّه خير وأبقى من هذه الدنيا كلِّها.

ثانيًا الزهد

إنَّ الداعية يسعى ويجتهد لإعلاء الحقِّ الذي نزل من عند الله وتحكيمه في كلِّ أمور هذه الدنيا، وذلك لا يمكن أن يتحقَّق إلَّا إذا كانت الدعوة تملك عليه نفسه وميوله وأهواءه ورغباته، فلا تؤثِّر فيه المصالح والمنافع الدنيوية فتعدل به عن طريقه، ولا المخاوف والأضرار فتصدَّه عن سبيله، فالزهد إذن وصف ضروري وخلق عظيم مهمٌّ لا يصحُّ أن يفقَد عند الداعية، ولا يجوز أن ينقص حظُّه منه.

والزهد هو إعراض القلب عن الدنيا وانصراف النفس عنها، سواء كان يملك منها قليلًا أو كثيرًا، وليس معنى الزهد أن تكفَّ عن السعي لمصالح المعاش ولا أن تعتزل الناس، فقد يكون المرء زاهدًا وهو غني، وقد يكون فقيرًا ليس بزاهد.

وقد تسأل: فما علامة كون الإنسان زاهدًا إذن؟

والجواب: إنَّ كلَّ إنسان يعرف ذلك من نفسه إذا رجع إليها وفتَّش قلبه هل للدنيا محلٌّ فيها أم أنَّه كلَّه لله ورسوله، ولاتِّباع شريعته وحبِّها وخدمتها؟

قيل للزهري: ما الزهد؟ قال: أمَا إنَّه ليس تشعيث اللمَّة ولا قشف الهيئة، ولكنَّه صرف النفس عن الشهوة.

وقد قال بعض أصحاب الزهري: كأنَّ الدراهم والدنانير عنده كالبعر.

وسئل الإمام أحمد بن حنبل: هل يكون المرء زاهدًا ومعه ألف دينار؟ قال: نعم. قيل: وما آية ذلك؟ قال: آيته أنَّها إذا زادت لا يفرح وإذا نقصت لا يحزن.

وقال ابن السماك: الزاهد هو الذي إذا أصاب الدنيا لم يفرح، وإذا أصابته لم يحزن، يضحك في الملاء ويبكي في الخلاء.

والرسول ﷺ إمام الزاهدين وقدوتهم، لم يرفض المال ولا خاصمه وعاداه؛ بل قبله وسخَّره في مرضاة الله، فها هو ذا تنصبُّ بين يديه أموال الجزيرة العربية، وتأتيه أخماس الغنائم، وتؤول إليه فدك وغيرها فيئًا خالصًا له من دون المؤمنين، فقبِل ذلك وأخذه؛ لكنَّه لم يقف قلبه على شيء من ذلك، بل كان يصرفه لفوره في وجوه البرِّ والمصالح العامَّة، ويبيت طاويًا يربط الحجر على بطنه.

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: «ما شبع آل محمَّد ﷺ من خبز مأدوم ثلاثة أيَّام حتَّى لحقَ بالله عزَّ وجلَّ».[1]

فهذا كلُّه يوضِّح لنا أنَّ المال وغيره من أعراض لا ينافي طلب الزهد، ولكنَّ الزاهد يأخذ منها كفايته، ويرصد الباقي لمصالح الخير والبرِّ، مثل تفريج كروب الناس وإغاثتهم، ونصرة الحقِّ وحراسته بدعم أسبابه المادِّيَّة والمعنويَّة بما ملكه الإنسان من متاع الدنيا وغير ذلك.

فإن سأل سائل كيف للمرء أن يتَّصف بالزهد إذا كان الأمر كذلك؟

وللجواب عن ذلك نقول: إنَّه يستطيع الاتِّصاف بالزهد إذا تحقَّق بحبِّ الآخرة وإيثار الآجلة على العاجلة، فيكون مقصده في دنياه الإعداد للآجلة، لا يفارقه ذلك في قيامه وقعوده، ولا في طعامه وشرابه، ولا يقظته ونومه، ولا مساعيه كلِّها في متجره أو حرفته وتربية أولاده، فإذا توفَّر للمؤمن ذلك أمكن أن يوصف بالزهد آنئذ.

وقد يسأل سائل ما وسيلة تحصيل هذا الوصف؟

ونجيب عن ذلك فنقول: إنَّ طريق ذلك فيه مشقَّات، يحتاج لمجاهدة النفس، وترويضها؛ وذلك لأنَّ الآخرة وراء الحواس والمشاعر المادِّية، وأمَّا الدنيا فشيء محسوس يذوق الإنسان حلاوته، ويشعر بلذَّته دائمًا، لذلك فإنَّها تحاول دائمًا أن تغرَّ الإنسان عن الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]، إلَّا أنَّ مشقَّة الطريق لا يجوز أن تعوق عن بلوغ القصد.

---

١ البخاري، ٥٤٢٣، ومسلم، ٢٩٧٠.

ثالثًا: الصبر

والصبر خليقة أساسية في الداعية، وقد أكَّد القرآن أهمِّيَّته غاية التأكيد، فقال تعالى في بيان وصايا لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وذلك أنَّ طريق الدعوة شاقٌّ مليء بالأشواك، غاصٌّ بالأعداء وتربُّصاتهم وإيذائهم، يفرض على الداعية الصبر على الأذى واحتساب فراق الأهل والأحباب، كما يفرض ذلك على من يؤمن برسالة الله تعالى.

فعلى الداعية أن يعدَّ نفسه لمواجهة ذلك، وتحمُّل ما يلقي عليه المدعوون من ألوان المعارضات والأذى، ومن ذلك:

أ- التهكُّم والسخرية بالمؤمنين والتعرُّض لهم بالشبهات والشتم، وذلك ما نجده في هذا العصر متَّبعًا، وذلك لأنَّ السخريات تخزي النفس وتضعضع تماسكها.

ب- الاتِّهام بالاتِّصال بالأجنبي والتلقِّي منه، وذلك بعينه ما ألصقه مشركو مكَّة بالرسول الصادق الأمين.

ت- اتِّهام الدعاة بالرجوع إلى الخلف والتمسُّك بالمواريث القديمة البالية، وذلك يساوي تمامًا لقب (الرجعية) الذي استعمله بعض المنحرفين على حملة الإسلام الأبرار ودعاته المخلصين الأخيار.

ومن أسباب الاعتراض على الداعية الحسد من أناس لم تتهذَّب نفوسهم بأخلاق الإسلام وتربية القرآن الكريم.

فليطمئنَّ الداعية إذا وجد نفسه محسودًا -نعوذ بالله من شرِّ ذلك- وليسلك طريق المعالجة الحكيمة، وذلك بإهمال هذه الفئة من الناس، وعدم الحديث عمَّا تفعله في الخفاء، ومن هذا الصنف من يُكفى شرُّه بالتكريم ونحوه فينبغي مجاملتهم بذلك، ومنهم من لا تجدي الوسائل فيهم نفعًا فالواجب مداراتهم واتِّقاء شرِّهم والاستعانة والتعوُّذ بربِّ الفلق سبحانه.

وليس معنى الصبر الاستكانة والذلُّ والقعود عن الدعوة، وإنَّما الصبر معناه التجلُّد وتحمُّل ما ينزل بالداعية من الأذى مع الاستمرار في الدعوة، ومن موقف الداعية الصابر إزاء الأذى والعقبات التي تعترضه:

١- **التجلُّد** وعدم التقهقر عند مواجهة الشدائد والعقبات.

٢- **أن لا يساوره اليأس والوهن**؛ بل يظلُّ يعمل وينتظر فرصة مواتية تأتي بها الأيَّام، فقد يُجري الله من الأحداث ما يهوِّن شأن هذه العقبات أو يزيلها، فعلى الداعية ألَّا ييأس من روح الله، فإنَّه ﴿لَا يَيْـأَسُ مِـنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَـوْمُ الْكَافِـرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وليحذر من انطفاء حماسته وجذوة عاطفته نحو الدعوة.

٣- **ألَّا يتحرَّف عن طريق دعوته**، فلا يُدخل على أفكاره وعقيدته تعديلًا ليخفِّف ما أصاب من نوازل؛ بل يجب أن يزداد حماسًا واعتصامًا بالحقِّ، لا تأخذه في الله لومة لائم.

٤- **أن يتجنَّب التصرُّفات الانفعالية والأعمال العاطفية السائرة، وينتظر حتَّى تهدأ الحال**، فيفكِّر في علاج الأمر بهدوء ورويَّة، فإنَّ ذلك أقرب للنجاح والصواب، أمَّا التصرُّفات الانفعالية فلا تخلو من نقص أو خطأ، وقد يتعمَّد الأعداء إلحاق الأذى بالداعية ترقُّبًا لتصرُّف عاطفي قاصر يأخذونه عليه ويستغلُّونه ضدَّه.

٥- **أن يلتفَّ حول العقبات حتَّى لا تعوق سيره**، فينتقل مثلًا بصورة مؤقَّتة إلى محاربة مفاسد لا يحميها القانون، كالقمار مثلًا، فيحاربها ويسعى لإبعاد الناس عنها، كما أنَّ هناك أمورًا لا يستطيع أحد أن يمنعهم منها كالأعمال الخاصَّة بكلِّ إنسان، فليجتهد الداعية في الدعوة إليها وتطبيقها هو وأتباعه؛ لتكون سلمًا نحو الأمور الأخرى يتناولها الداعية بحكمة وبصيرة نافذة.

ومن لطيف التوجيه القرآني أنَّه أمر بالصبر وبالمصابرة أيضًا؛ لأنَّ القوى المعادية تتسلَّح بالصبر أيضًا ضدَّ أهل الحقِّ، فلا بدَّ أن يكون الداعية ثابتًا على صبره ليصبح أقوى وأمضى من صبر أهل الباطل؛ حتَّى يتمَّ له النصر عليهم.

رابعًا: حبُّ تعاليم الرسالة والغيرة عليها

فالداعية يبثُّ في الناس رسالة الإسلام ويحبّبها إليهم حبًّا يجعلهم يؤمنون بها ويتفانون في سبيلها وينبذون ما سواها نبذًا، فلا بدَّ أنْ يكون الداعية محبًّا أشدَّ الحبِّ تعاليم الدعوة مشغوفًا بها أعظم الشغف، وذلك يوجب أن يكون حبُّه لله وحبُّه لرسوله أعظم من حبِّه لأيِّ شيءٍ آخرَ، وأعظم من حبِّه لنفسه وماله ولولده ومن حبِّه للدنيا بما فيها من النعيم.

ومن علامات الحبِّ الصادق لتعاليم الإسلام ولله ولرسوله:

١- أن يكون صاحبه منبعثًا في الدعوة إليه بهمَّة وجدٍّ، مطبّقًا أحكامه على نفسه من غير ملاينة ولا هوادة.

٢- أن يعظِّم حرمة الحدود الشرعية ويجتهد في صيانتها عن العدوان بغاية ما يمكن من الجهد، ولو ببذل الغالي والنفيس.

خامسًا: الإيثار والتضحية في سبيل نشر الدعوة

ذلك أمر ضروريٌّ جدًّا لا غنى عنه لنجاح الدعوة، وإنَّه ليصعب على الفكر أن يحيط بالأخطار التي تحدق بالدعوة والظلمات التي سيظلُّ العالم يتخبَّط فيها لولا ذلك الخلق العظيم، فما أحوج المسلمين وما أحوج الدعاة إلى هذه السجيَّة في هذه الظلمات المادِّيَّة.

سادسًا: قوَّة الاندفاع في العمل على فكر منهجي وعقل منظَّم

فقد تعوَّد كثير من العاملين في الدعوة أن يقوموا بأعمال تحتاج الى يسير من الوقت فقط، وأن تكون خطواتهم ذات نتائج سريعة الظهور، ثمَّ ينصرف المرء وقد ظنَّ أنَّه قام بواجبه كاملًا.

إنَّ بناء كيان الأفراد وتشكيل بنيان الأمَّة على أساس الإسلام يحتاج للشجاعة المندفعة التي تتحرَّك وفق عقل منظَّم وفكر منهجي مخطَّط.

وهذه الصفة هبة إلهية؛ لكن يستطيع من يُعِدُّ نفسه للدعوة أن يتسبَّب لنفسه حظًّا منها إذا اتَّبع بعض الوسائل النافعة مستعينًا بالله مخلصًا له، ومن هذه الوسائل:

١- الاطِّلاع على تاريخ رسول الله ﷺ واستخلاص مسيرته كداعية، ثمَّ تقسيم هذه السيرة الى مراحل في الدعوة، ودراسة كلِّ مرحلة لفهم ما كان له عليه الصلاة والسلام من أسلوب خاصٍّ في معالجة ظروفها.

ومن أمثلة ذلك معاملته عليه الصلاة والسلام للمنافقين.

٢- العمل بالشرع وتنفيذ خطط الدعوة تنفيذًا جِدِّيًّا، والتمرين على مواجهة مقتضيات الدعوة.

٣- توثيق صلته بالدعوة، وذلك بأن يُكثِر من مخالطة الدعاة العاملين ذوي التجارب الكثيرة، وبكثرة التفكير في مشكلاتها وظروفها حتَّى تختلط الدعوة بقلبه فيصير قلب الداعية وقفًا على دعوته.

٤- أن يعوِّد نفسه على التخطيط والتنظيم، فلا يعمل عملًا إلَّا بعد دراسة في نتائجه وفوائده.

ثانيًا: ثقافة الداعية

قال الدكتور نور الدين عتر: إنَّ الداعية الحصين يشخِّص العلَّة التي أمامه، ويهيئ لها الشفاء المناسب من كلام الله وكلام رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم، ولا بدَّ للداعية أن يكون ذا خبرة بالميدان الذي يعمل فيه، وبأحوال العصر الفكرية والاجتماعية والعقائدية وغير ذلك؛ حتَّى يعرف كيف يُصلح دنيا الناس بدين الله، وذلك معناه أنَّه يجب أن يتَّصف الداعية بسَعة العلم وغزارة الثقافة وتنوُّعها في ألوان الفنون، فالداعية مدمن للقراءة، وصديق للكتاب، يأنس إليه، ويرقب كلَّ جديد فيه، ويظلُّ طالبًا للعلم من المهد إلى اللحد.

وحثَّ الدكتور نور الدين عتر طالب العلم الداعية أن يكون متمكِّنًا في العلوم، وعنده اطِّلاع واسع خاصَّة في تلاوة القرآن الكريم وحفظه وتفسيره، ودراسة السيرة

النبويَّة، والتاريخ، وسير الرجال، وعلم النفس بفروعه، وعلم الكون بأنواعه، والفلسفة بضروبها، وعلم العقيدة، وعلم الاجتماع، والفقه ومقاصده وأصوله، والدراسات الإسلامية المعاصرة التي تعالج مشاكل العصر وعلاجها في ضوء الإسلام، وكذلك علم الآلة.[١]

ثالثًا: القدوة الحسنة

إنَّ الدكتور نور الدين عتر أعطى القدوة الأهمِّيَّة العظمى في الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ، قال: من طرق القدوة الحسنة التي تستخدم في الدعوة سوى تحلِّي الداعية بها:

١- أخبار العلماء العاملين والمجاهدين أنفسَهم في الله، والمجاهدين في سبيل الله.

٢- أخبار الصحابة، فقد كانوا هم المثل الأعلى، وبالقدوة بهم اهتدى الناس، وقد كانوا قليلي الكلام كثيري العمل، عليهم هيبة الخاشعين وأنوار الذاكرين.

٣- زيارة الداعية مع أصحابه بعض الصالحين والعلماء العاملين.

٤- إيجاد بيئات صالحة؛ لأنَّه لا بدَّ من الاختلاط بالمجتمع، والمجتمع فيه أشتات من الناس، ويتطبَّعون بطبائع أهلها ويتخلَّقون بأخلاق بعضهم مع مرور الزمن.

ومن أهمِّ هذه البيئات: المسجد، ومجالس العلم، ومجالس الذكر، والمجالس الاجتماعية المهذَّبة.

ويمكن استثمار النوادي والرحلات والمشروعات الخيرية.[٢]

١ الدعوة والداعية إلى الإسلام، ١٦٩-١٧٢، بتصرُّف.

٢ الدعوة والداعية إلى الإسلام، ١٧٣-١٧٥، بتصرُّف يسير.

المبحث الرابع: محاربة الدعوات الهدَّامة

أوَّلًا: الصهيونية العالمية ومنظَّماتها

كان الدكتور نور الدين عتر مهتمًّا بمحاربة الصهيونية لما لها من تأثير فاسد في عقول الأمَّة، وانتشار بلائها في المجتمعات الإسلامية.

وبكشف عوارها من خلال هذه الأمور التي اهتمَّت بها الصهيونية العالمية لنشر فسادها، وغايتها تهديم بنيان الإسلام والمجتمعات الإسلامية، وذلك بما يأتي:

١- تشكيل المنظَّمات السرِّيَّة، والاندساس في الأحزاب والأنشطة السياسية لقصد الإفساد.

٢- إصدار باحثين يهود من المستشرقين كتبًا ينالون فيها من الإسلام في قرآنه، وحديث نبيِّه، وسيرته وتاريخه ولغة العرب، وصاروا مرجعًا في الاختلاق الخبيث محكَم الخطَّة على الإسلام.

٣- تشجيع كلِّ ما يفسد الأخلاق من بحوث إباحية، وأفلام وصور، وكلِّ ما ينشر الفساد في المجتمع بواسطة فتيات من عندهم، وذلك كجزء من تخطيطهم لتحطيم الشعوب حتَّى يحكموا العالم ويسودوا عليه بزعمهم.

٤- تشكيل منظمة سرِّيَّة تشتغل لمصالح اليهود، كما هو الحال في منظَّمة الماسونية التي تتظاهر بالدعوة إلى توحيد الأديان، هكذا يزعمون، والغاية تمييع الأديان والإسلام وتفريغها من محتواها؛ حتَّى يصير المسلم يعمل لصالحهم دون أن يدري.

٥- تأسيس نوادٍ ثقافية أو اجتماعية يطلُّون من خلالها على المجتمع، ويتعرَّفون خباياه؛ ليفيدوا من ذلك لمصالحهم، ويتوصّلُوا إلى أغراضهم في إفساد المجتمع الإسلامي.[١]

---

١ الدعوة والداعية إلى الإسلام ١٧٧-١٧٨، بتصرُّف يسير.

ثانيًا: الصليبية ومعاول هدمها

لقد بيَّن الدكتور نور الدين عتر عيوب متعصِّبي الصليبية في محاربة الإسلام، وقال: هم يبثُّون سمومهم في أفكار المسلمين؛ لتضليلهم عن دينهم من خلال الدراسات الاستشراقية والطبِّ والتعليم.

- أمَّا المستشرقون فإنَّهم لم يقوموا بالدراسات الموضوعية المصنَّفة حول الإسلام؛ بل قدَّموا دراسات بالغة غاية الانحراف والافتراء على الإسلام؛ لذلك لا بدَّ من الحذر منهم.

- وأمَّا الطبُّ: فهم يتظاهرون بالمعاملة الحسنة عن طريق معالجة المرضى، وينشرون فسادهم وأفكارهم، ففي الحبشة كانت المعالجة لا تبدأ قبل أن يركع المرضى ويسألوا المسيح أن يشفيهم.

- وأمَّا التعليم: فاستخدموا فيه الوسائل الإنسانية للتضليل ونشر عقائدهم الفاسدة، ولقد بلغوا في إفسادهم العقول درجة فظيعة في إفريقيا وجنوب السودان؛ إذ يربُّون جيلًا يستسيغ خيانة وطنه، ويطالب بتقسيمه، وفصل بلاده عن الوطن الأمِّ؛ ليكون الجنوب خاضعًا لنفوذ الاستعمار، واستغلال الدول الكافرة لخيرات تلك البلاد الوفيرة.[١]

ثالثًا: سبب الإلحاد في عصر العلم الكوني وعلاجه

سبب الإلحاد

يؤكِّد الدكتور نور الدين عتر أنَّ الإنسانية تمضي ذاهلة عمَّا ترى وتحسُّ من الآيات البيِّنات، وتسخِّر ما في الكون فقط لملء الجسم ورغبة المعدة ونداء الغرائز ووحي الترف، وكلُّ هذا ظلمة في ظلمة، وهذا هو مسلك الدوابِّ والأنعام.

حيث يقصر همُّ الذين يتشبَّهون بالأنعام فقط على ألوان الطعام والشراب

١ الدعوة والداعية إلى الإسلام ١٧٩-١٨٤، بتصرُّف يسير.

والغرائز، بعيدًا عن معرفة الله والتحلّي بكمالات الفضائل، وهذا سببه انطماس البصيرة التي أصابتهم، وعمى القلوب التي في الصدور.

وأمّا علاجه

فقد شخَّص الدكتور نور الدين عتر المرض ثمَّ بيَّن علاجه، فقال: وصف القرآن العظيم لنا العلاج الناجع، وهو التأمُّل في آيات الله في السماوات والأرض، والتفكير في نعمه سبحانه وتعالى.

وحث على التأمل، فقال: إنَّ التأمل ينقل صور المشاهدات من الحسِّ الظاهر إلى الحسِّ الباطن؛ حسِّ القلب والروح بعظمة الله وقدرته وحكمته وتدبيره ووحدانيَّته.

فالطريقة الناجحة هي طريقة القرآن، وقد فصَّل تعالى في مواضع كثيرة من كتابه الكريم، وفتح عين البصيرة السليمة.

وعظ الإمام الشافعي، فقال: هذا ورق التوت لونه واحد وطعمه واحد، يأكله الدود فيخرج منه الحرير، ويأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاة والبقر فتلقيه بعرًا أو روثًا، وتأكله الظباء فيخرج منه المسك، وهي شيء واحد، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

وأبو حنيفة عندما أقام الحجَّة على الملحدين بقوله: فهلَّا تأمَّلتم عجائب الكون، بعد أن أنكروا عليه أنَّه تأخَّر بسبب السفينة وأنها صارت وحدها، فخشعت قلوب الناس لموعظته وأسلم منهم من كان على غير الإسلام، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ﴾ [سورة الرعد: ٢].[1]

١ الدعوة والداعية إلى الإسلام، ٧٩-٨٢، بتصرُّف.

الخاتمة

إنَّ فكر الدكتور نور الدين عتر الدعوي يتلخَّص في كلمته الرائعة:

إنَّ الداعية يبثُّ في الناس رسالة الإسلام، ويحبِّبها إليهم حبًّا يجعلهم يؤمنون بها، ويتفانون في سبيلها، وينبذون ما سواها نبذًا، فلا بدَّ أن يكون الداعية محبًّا أشدَّ الحبِّ تعاليم الدعوة، مشغوفًا بها أعظم الشغف، وذلك يوجب أن يكون حبُّه لله عزَّ وجلَّ وحبُّه لرسوله صلَّى الله عليه وسلَّم أعظم من حبِّه لأيِّ شيء آخرَ، وأعظم من حبِّه لنفسه وماله وولده ومن حبِّه للدنيا بما فيها من النعيم، ويوجب أيضًا أنْ يكره الطواغيت المتَّخذة من دون الله حتَّى لا يقرَّ له قرار، ولا يهدأ له بال، ولا يهنأ له عيش إلَّا أن يكون أمر الله ورسوله نافذًا، وشريعة الإسلام سائدة.[1]

وأقول: إنَّ الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ شرف عظيم، من ناله كان من أهل العناية الربَّانية، وهي أمانة عظيمة ثقيلة، من قام بحقِّها فهو من ورثه الأنبياء والمرسلين والعلماء العاملين.

وقد توسَّع الدكتور نور الدين عتر في كتابه (الدعوة والداعية إلى الإسلام) بشكل واضح في كلِّ ما له علاقة بالدعوة والدعاة. أسأل الله أن يوفِّقنا لكلِّ خير، وأن يجعلنا من الدعاة العاملين المخلصين.

والحمد لله ربِّ العالمين.

نتائج البحث

- لا بدَّ للداعية أن يطَّلع على مهمَّات الدين والثقافات المتعدِّدة.

- دوام مجاهدة النفس وتزكيتها وعلاجها من أمراض القلب، وهذا من الأمور التي لا بدَّ منها للداعية مهما بلغ في العلم والصلاح.

- أن يجالس الصالحين والعارفين بالله، ولو كان الداعية من كبار الصالحين.

١ الدعوة والداعية في الإسلام، ١٦٣.

- أن يلتمس للدعاة حسن الظنِّ عند وقوعهم في الخطايا والعيوب؛ لأنَّهم غير معصومين.

- الابتعاد عن مواضع الخلاف بين الدعاة، وإزالة الجدال الذي لا يؤدِّي إلَّا إلى العقم في الدعوة إلى الله.

- عدم التكبُّر على الدعاة؛ بل يوقِّرهم ويقدِّر جهدهم ويشفق عليهم؛ لأنَّهم يبذلون غاية جهدهم فيما يعلمون، والتكبر صفة ذميمة منعت الكثير من الخلق من اتِّباع الأنبياء.

- الابتعاد عن هوى النفس، فهي من أعظم موانع قبول الحقِّ.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**.
- **إحياء علوم الدين**، الإمام محمَّد الغزالي، وبهامشه تخريج الحافظ العراقي، دار الفكر، ط٢، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، عبد الرحمن حبنَّكة، دار القلم، دمشق، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- **أصول الدعوة**، عبد الكريم زيدان، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- **البحر المحيط**، أبو حيَّان، ت ماهر حبوش وغيره، الرسالة العالمية، بيروت، لبنان.
- **البداية والنهاية**، الإمام أبو الفداء الحافظ ابن كثير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- **تاريخ دمشق الكبير**، ابن عساكر، دار إحياء التراث.
- **تفسير القرآن الكريم**، الإمام ابن كثير، مطبعة ومكتبة التراث، القاهرة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠هـ.
- **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣.
- **تفسير الكشَّاف للزمخشري**، ت خليل مأمون شيحة، دار المعرفة، بيروت.
- **التقرُّب إلى الله**، عبد الله سراج الدين، مكتبة دار الفلاح، حلب، سورية.
- **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله محمَّد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥م.
- **حاشية ابن عابدين**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٨، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- **حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح**، مطبعة بولاق، مصر، ١٢٩٠هـ.
- **حلية الأولياء**، الأصفهاني، ت سعيد بن سعد الدين الإسكندراني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١.
- **الدعوة إلى الإسلام**، محمَّد أبو زهرة، دار الفكر العربي.
- **الدعوة والداعية إلى الإسلام**، نور الدين عتر، دار بوظو، دمشق، ط٢، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
- **الدعوة والدعاة بين الواقع والهدف، ومجتمعات عربية معاصرة**، بسَّام الصبَّاغ، دار الإيمان، ط١، ١٤٢٠هـ.
- **رؤى على الطريق**، عبد القادر طاش.
- **الرسالة القشيرية**، عبد الكريم بن هوازن القشيري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،

ط١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

- **الزهد**، للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، دار الحديث، القاهرة.
- **الزهد الكبير**، البيهقي، ت تقي الدين الندوي، دار أروقة.
- **سنن ابن ماجه**، ت محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة.
- **سنن أبي داود، دراسة وفهرسة**: كمال يوسف الحوت، دار جنان، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- **سنن الترمذي**، محمَّد بن عيسى، ت وشرح أحمد شاكر القاضي، دار الحديث، القاهرة.
- **سنن الدارمي**، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، ت عماد الطيَّار، عزُّ الدين ضلِّي، الرسالة ناشرون، بيروت.
- **شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج**، الإمام النووي، ت خليل مأمون، دار المعرفة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- **الصحاح**، إسماعيل بن حمَّاد الجوهري، ت السيد أحمد عبد الغفور العطَّار، مصر، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.
- **صحيح ابن حبَّان**، محمَّد بن حبَّان بن أبي حاتم البستي، ت شعيب الأرناؤوط، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- **صحيح البخاري**، ت محبُّ الدين الخطيب ومحمَّد فؤاد عبد الباقي، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- **صحيح مسلم بن الحجَّاج القشيري النيسابوري**، اعتنى به ياسر حسن وغيره، مؤسَّسة الرسالة ناشرون.
- **صيد الخاطر**، الإمام ابن الجوزي، ت عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م.
- **فقه الدعوة إلى الله**، عبد الرحمن حسن حبنَّكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- **القاموس المحيط**، الفيروزبادي، ت مكتب بإشراف الشيخ محمَّد نعيم عرقسوسي، مؤسَّسة الرسالة، ٢٠٠٣م.
- **القسطاس المستقيم**، أبو حامد الغزالي، دار المنهاج.
- **قواعد الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ**، همام سعيد، دار الفرقان، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- **الكشَّاف**، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ط١، دار المعرفة، بيروت،

لبنان.

- **كنوز الدعوة إلى الله وأسرارها**، يوسف خطَّار محمَّد، دار نضر، دمشق، ط١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١٢م.
- **لسان العرب**، جمال الدين محمَّد بن مكرم بن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.
- **المستدرك للحاكم**، ت مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
- **مسند أحمد**، مطبعة صادر، بيروت، ١٣٨٩هـ.
- **مسند الفردوس**، الديلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **المعجم الأوسط للطبراني**، سليمان بن أحمد، ت طارق بن عوض الله، عبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، مصر.
- **المعجم الوسيط**، قام بإخراجه إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، أحمد حسن الزيَّات، محمَّد علي النجار، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- **هكذا علمتني الحياة**، مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.